المثل الأعلى للشاب المسلم

للأستاذ على الطنطاوى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

لقد انتهينا من تعريف المثل الأعلى والشباب والاسلام ، فلنشرع فى الموضوع :

قلت إن أندريه موروا وصف الشباب بصفتين أساسيتين : هما الحب والبطولة . أما الحب فهو عماد الحياة وركنها وأساسها ، لا معدى عنه ، ولا منجى منه . وأحسب أن الشباب الحاضرين ، بل وكثيراً من الشيوخ يصفرون لى وينزلونني عن المنبر ، إذا أنا قلت لهم : « لا تحبوا » ، وكيف أقولها ؟ أجننت حتى أقول : « حطموا القلوب » ، ودوسوا العاطفة . وماذا يبقى لنا إذا خسرنا العاطفة ؟ لقد خسر ادوار عرش بريطانيا العظمى ، ولكنه ربح العاطفة فلم يخسر شيئاً . لقد أنسته عينا مدام سمبسون ملك انكلترا ، فهل كان ينسيه هذا الملك الضخم ، وهذا التاج المرصع ، عينى سمبسون لو أنه هجرها ... ؟

العاطفة هي التى تدير دولاب حياتنا ، وتسير أمورنا كلها ، أما العقل فلا يصنع وحده شيئاً . من يذكر منكم أنه مشى خطوة واحدة برأى العقل وحده ؟ العقل يا سادتى فيلسوف أعمى ، حكيم مقعد ، ينادى بصوت خافت ضعيف ... أما العاطفة فهى القوة ، هي النشاط ، هى الحياة ...

أنا لا أقول اقتلوا العاطفة ، لأن فى موتها موتنا ، ولكن أقول إن العاطفة تضيق حتى لا تشمل إلا شخصاً واحداً ، وتنحط حتى تنزل من قلب هذا الشخص إلى ما تحت القلب ، إلى ما تحت ... السرّة ! وتسمو حتى تحيط بالمثل الانسانية العالية ، وتعمّ حتى تشمل الأمة كلها ، بل الانسانية جماء . فاسموا بعواطفكم عن مواطن شهواتكم ، واخرجوا بها من ذواتكم ، وقفوها على أمتكم وبلادكم

أحبوا ، فإن الذى لا يحب لا يكون إنساناً ، واذكروا واحلموا وتأملوا ... ولكن افهموا الحب بمعناه الواسع الذى يشمل كل ما هو حق وخيّر وجميل ... لا المعنى الضيق العقيم ، الذى لا يتجاوز حدود جسم امرأة ... أحبوا ، ولكن ابقوا مسلمين . إن للمسلم قلباً ، قال الله عز وجل : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب[1] أو ألقى السمع وهو شهيد » ، ولكن المسلمين يغضون عيونهم وقلوبهم وفروجهم (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) . أحبوا ولكن ابقوا رجالاً . إن الرجل إذا أحب لم يبكِ ويتذلل ويأرق الليل ، ولم يلق شفتيه على قدمى المرأة ، كما كان يفعل لا مارتين ، ولكنه يقوم قائماً على مشط رجله ، ثم يقول لها ، بعينيه النافذتين ، وعضلاته الحجرية ، وإرادته الماضية ، ورجولته البادية : « تعالى ! »

أحبوا ولكن ابقوا أفراداً من هذه المجموعة البشرية التى هى الأمة ، لا يقطعكم الحب منها ، ويُعيدكم إلى الحياة الفردية الوحشية ، فتنكروا كل شىء ، وتنسوا الدنيا ، وتتجاهلوا الحياة إلا إذا أشرقت عليها نظرة من المرأة وأضاءت فى أرجائها كلة منها . ولا تقيموا الدنيا وتقعدوها ، وتغرقوا الأرض بالدموع لأن الحبيبة المحترمة لم تمنح قبلة وعدت بها ، ولم تصل وقد لوحت

التى تقوى شخصيتهم ، وتجمل أجسامهم ، وتبث فيهم الروح الاجتماعية والجرأة والحرية والديمقراطية والإقدام وضبط النفس والإيثار . ولكن ليكن مبدؤنا دائماً في المباريات العامة والخاصة هو أن « الخسارة بحق خير من الفوز بباطل ! » ، ولنتجنب ما استطعنا ألعاب المنافسات الحقيرة والعصبيات التافهة والانهماك الشديد ؛ وبذلك تكون المدرسة فردوساً يحفه المرح ويسرى فيه العمل الصحى بجميع نواحيه ، وتكون التربية « مواءمة عليا بين المرء النامى الجسم وبين بيئته[1] »

وإلى اللقاء حيث أحدثك عن الناحية النفسية فالناحية الاجتماعية

« يتبع »

محمد مهدى ظاظا
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية الأميرية

(١) أنظر الكتاب الآنف للأستاذ هورن

(١) مهما كان معنى القلب هنا ...

بالوصل ، تنظمون الأشعار فى هـذه الكارثة ، وتنشئون فيهـا الفصول ، تبكون وتستبكون ، ثم تنامون آمنين مطمئنين ، والنار من حولكم تأكل البلاد والعباد ...

الشعر شعور ، فأى شعور وأى حس فيمن يرى أمة كريمة مجيدة بقضها وقضيضها ، ومفاخرها وتاريخها وحياتها وأمجادها تطرد من ديارها ، وتخرج من بيتها — وهى أمتـه ، وأفرادها إخوته — لتعطى مساكنها إلى أمة من أسقط الأمم : أمة ضربت عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب من الله ، وغضب من الناس والحق والفضيلة والتاريخ ، ويرى صدورها مفتحة للرصاص ، وشيوخها مسوقين إلى حبال المشانق ، وشبابها فى شعاف الجبال وبطون الأودية يدفعون الظلم بالدم ، وأطفالها ونساءها بين لصين : لص ديار ، ولص أعراض ، لص يحارب بالذهب ، ولص يقاتل بالبارود — ثم لا يحس بهذا كله ، ولا يدرى به ، ولا يفكر فيه ، لماذا ؟ لأن الشاعر المسكين مصاب متألم ... ماله ؟ ما مصابه ؟ إن حبيبته لم تعطه خدها ليقبله ...

إن العاطفة إذا بلغت هذا المبلغ كانت جريمة .

* * *

وما دمنا فى حديث الحب فلنوف الحديث حقه . إن لى تعريفاً قديماً للحب ، هو أنه المرقد (البنج) الذى وضعه الله لتمام عملية التناسل التى لا بد منهـا لبقاء النوع البشرى ، والتى لا يصبر الانسان على احتمال قذارتها وآلامها لولا هذا المخدر ، فأول الحب إذن ووسطه وآخره الاجتماع الجنسى والسلام ، أما الحب العذرى الافلاطونى العفيف فليس إلا إحدى الأكاذيب الجميلة ، التى لا يصدق بها عاقل . من أجل ذلك يشك العقلاء فى عفاف المرأة المحبوبة ، وينظر المسلمون إلى الحب نظر الريبة ... إنى لألحظ فى وجوهكم معنى الاستنكار والاعتراض ، وأرى فيها بوادر الثورة ... لا يا سادتى ... أنا لا أنتقد الحب ، ولا أشك فى جماله ، ولكن أسألكم وأرجو أن تجيبونى بإنصاف : من هو الذى يسمح لى فيكم أن أحب زوجته أو أخته ؟ لا تغضبوا يا سادتى ... فما أردت إلا التمثيل فجاء المثل غليظاً نابياً ، وإنى ليسرنى أن تستهجنوه ، لأن هذا دليل على أنكم للحقيقة أشد استهجاناً ...

فلنعلن إذن أن هذا الحب المعروف اليوم ، مما يأباه الاسلام ويتنافى مع المثل الأعلى للشاب المسلم ، ولكن ماذا يصنع الشباب ؟

الجواب : يتزوجون ...

نعم يتزوجون . إن حياة العزب حياة خطرة على نفسه وعلى المجتمع . إنه صندوق ديناميت يوشك أن ينفجر فى كل لحظة فيدمر سعادة أسرة من الأسر ، وينقض دعامة من دعائم الوطن . إن حياة العزب حياة فارغة من كل شىء لأنها فارغة من الزوجة ولو امتلأت بكثير من النساء (غير الزوجات) . إن أفكار العزب مهما اختلفت مناحيها وتعددت متوجهة إلى وجهة واحدة ، تسمى إليها بشدة وعنف كما تسعى السيول من كل جهة إلى قعر الوادى ، إنه لا يجتمع عزبان إلا نظما مؤامرة على الأخلاق والعفاف

لست أبالغ ... أنا أيضاً شاب عزب ! ولكنى كسائر العزاب لا أحمل ذرة من اللوم ، وليس علىّ شىء من الذنب . الذنب عليكم أيها الآباء . إنكم تبيعون بناتكم . إنكم تصاهرون المال والجاه والأرستقراطية الزائفة ، إن حفلات العرس وحدها تخرب بيتى العروسين ... فما قولكم فى المهر والأثاث ؟ وما قولكم فى شاب مثلى فى رأسه شىء ، وليس فى جيبه شىء من مال ؟ كيف يتزوج ؟

لا أحب يا سادتى أن أكون منحطاً إلى هذه الدركة من الاستئثار و (الأنانية) فأستغل اجتماعكم لسماع محاضرتى لأعلن عن نفسى ، وأعرضها خاطباً مستجدياً ... ولكنى أحب أن تفكروا فى هذا الأمر تفكيراً جدياً . إننا قد شبعنا من الخطب وملنا من المقالات ، فهل فيكم أب مسلم له بنات يكون قدوة طيبة للآباء المسلمين الطيبين ، فيفتش عن شاب صالح جاد فيزوجه بما يستطيع من المهر والنفقات : بخمسين ليرة سورية [1] بثلاثين لم لا ؟ أهى تجارة ؟ أتريد زوجاً لبنتك صالحاً تسعد به ويسعد بها ، وينشئان أسرة شريفة مستورة سعيدة أم تريد ذهباً تبيع به ابنتك ؟

هذا دواء هذا المرض العضال . هذا حل المشكلة . فاذا لم تجلوها اليوم لا تنحل أبداً ، إذا لم تداووا المرض اليوم يموت المريض ...

فيا وجهاء هـذا البلد ، الوجاهة بالعمل النافع ، وبالتقوى والاصلاح ، لا بالمال ولا بالفخفخة الفارغة ، ولا بالعظمة الجوفاء ولا بالمراتب العالية ، فاعملوا أو فتنحوا عن أماكنكم لمن يعمل !

* * *

(١) الليرة السورية ٢٠ فرنكا فرنسياً — أى نحو ١٣ قرشاً مصرياً

وإن من الحماقة التي ليس وراءها حماقة أن تبني الأسرة الثابتة على عاطفة متبدلة متحولة . من الحماقة أن يبني الزواج على الحب . منذ الذي يبني داره على كثب من الملح في طريق السيل ؟ الحب فراشة حلوة ، فيها أجمل الألوان ولكنها لا تعيش إلا يوماً واحداً . الحب زهرة فوّاحة ليس لها في الروض مثيل ، ولكنها تذبل عند أول لمسة . من رأيي في الحب أنه لا يكون إلا إذا كان أمل ، وكان مع الأمل حرمان ، كالكهرباء لا تضيء المصباح إذا التقى فيها القطبان المختلفان . أنت تحب المرأة لأنك لا تقدر عليها ، فتنسج عليها من خيالك ثوباً تراها فيه أجمل الناس ، فإذا قدرت عليها ، وخلعت هذا الثوب عنها ، عادت امرأة كسائر النساء . أنظروا إلى الزوجين الحبيبين في شهر العسل ، وقد ذهبا يسيحان ينعمان بالخلوة الحلوة ، في أجمل البقاع ، أو أكبر المدن ، تحسبوا أن السعادة قد جمعت لهما من أطرافها ، ولكن اقتربوا منهما تروا أنهما لا تمر إلا أيام حتى لا يجدا ما يتحدثان به ، إلا حديث الأيام الأولى ، يوم كان أمل وكان حرمان ، ثم تمضي الليالي ، وتبلى جدة هذا الحديث ، فلا يبقى بينهما كلام ...

وماذا في لغة الحب ، غير (أحبك) و (أحبك) رددها مائة مرة فإنكم تنامون ...

فلنعلن إذاً أن بناء الزواج على الحب وحده لا يرضاه الإسلام ، لأنه لا يرضاه العقل ... فهل نعود إذن إلى طريقتنا الأولى : تخطب لي عمتي أو خالتي ، وتنتقي لي الزوجة على رأيها ، وأنزل أنا على حكمها ، وأعلق مستقبلي بها ، وأمضي العقد وأمشي إلى حفلة العرس ، وأنا لا أعرف مالون عين العروس وما شكل أنفها ؟

هذه طريقة سقيمة عقيمة ... فماذا نصنع إذن ؟ ما هي الطريقة المثلى ؟ هي يا سادتي طريقة الإسلام . إن الإسلام منح الخاطب (بعد أن يتم الرضا عنه ، ويرجح جانب قبوله صهراً) أن يرى وجه المرأة وكفيها ، أن يجلس معها (بحضور وليها) ... هذه هي سنة الدين ، ولكن الآباء جاهلون ، يأبون أن يرى الخاطب الصالح وجه الفتاة ، ثم يخرجونها إلى الأسواق ، متبرجة متهتكة ، يرى أكثر من وجهها وكفيها الفاسق والخبيث ، وكل من كان في الطريق ، حتى الحمار !

إننا تركنا قواعد الإسلام ، فتركنا الفلاح والنجاح

« البقية في العدد القادم »

علي الطنطاوي
المدرس في كلية بيروت الشرعية

من بحر الفكر

فكرة الضحية وإهراق الدم للمعبود لم تزل باقية إلى اليوم . فالوثنية قد خلفت تقاليد لم يكن محوها من اليسير . إن ذبح الخروف في العيد الكبير إن هو إلا ظل باهت لتلك العهود التي كان يُدفع فيها الآدمي للذبح عند أقدام الهيا كل . ولكن الزمن غير الشكل ولم يغير المبدأ . إن الانسانية في تطورها لا تمحو شيئاً غرس في طبيعة الانسان من قديم ... ولكنها تبدل في لونه وطلائه ، وتعدل في ملامحه وتكسوه ثياباً أخرى ، وتسميه اسماً جديداً يتفق مع روح العصر الجديد . فالانسان لا يتغير . إنما يتطور . ولم يغب ذلك عن حكمة الأديان . فهي في تعاقبها لم تنسخ كل ما رسخ من عقائد الانسان . ولكنها أخذت أكثر هذه العقائد بالرفق ، فهذبت من وسائلها وغاياتها . فالضحية الآدمية جعلتها ضحية من الحيوان ؛ والغاية منها ، وقد كانت إرضاء المعبود وحده ، حولتها إلى إرضاء الله بإرضاء الفقير في يوم العيد

هنالك شيء ينبغي أن تتدبره إذا أردنا إحداث انقلاب في حياة البشر . الحذر كل الحذر من أن نقتلع شيئاً من جذوره ، فإن ما نبت في قلب البشرية لا يقتلع . إنما نحن نستطيع دائماً أن نهذب ذلك الغرس وأن نميل به إلى حيث تريد ريحنا . وأن نبدل بما نشتهي ألوان أزهاره وثماره ، وأن نولد منه أقوى الأشجار ... وهكذا نخرج للحياة مما كان وعلى أساس ما كان ، ذلك الذي يقول فيه الناس إن عين الشمس لم تره . آه ! ما أصدق تلك الكلمة : لا جديد تحت الشمس . نعم . إن يد « الطبيعة » لا تبرز جديداً ولا تميت قديماً ، ولا تمحو من الوجود ، ولكنها تعدل وتبدل في الوجود . فلنتذكر دائماً أن لا شيء ينعدم في الطبيعة . وليست «المادة» وحدها هي التي لا تنعدم ، كما يقول الكيمائيون . كل شيء لا ينعدم في هذا الوجود . إن الطبيعة لا تعرف كلمة «العدم» ولكنها تعرف كلمة « التحول »

ذلك أسلوب الخالق الأزلي

نزهة الحكيم